﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر: 36 - 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

ربطُ السّرورِ والنّعيمِ للمؤمنين المُنعَّمين بمعرفةِ مصير الكافرين المُتجبِّرين

لما بيّن سبحانه في الآيات السّابقة ما فيه المؤمنون ورثة الكتاب من النّعماء، بيّن بعد ذلك ما لأعدائهم من الضرّاء، زيادةً في سرورهم لما قاسَوْه في الدّنيا من تكبُّرهم عليهم وفجورهم، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾[1]، أو يقال: إنّه لما ذكر حالَ المؤمنين ومَقرَّهم، ذكر حال الكافرين، وهذا يدل على أنّ أولئك الثّلاثة هم في الجنّة، والذين كفروا هم مقابلوهم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُقۡضَىٰ﴾: أصل (قضى) يَدُلُّ عَلَى إحْكامِ أَمْرٍ وإتْقانِهِ وإنْفاذِهِ لِجِهَتِهِ، قالَ اللّهُ تَعالَى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: 12] أَيْ أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ[3]، ويأتي (قضى) من الانقضاء بمعنى الذّهاب والانتهاء، يقال: قضى الشّيء يقضي: إذا قطعه وأزاله[4]، وانقَضَى الشّيء وتَقَضَّى أي فَنِي وذهب[5]، ومنه انقضاء

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 61.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 35.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قضى).
(4) الرّاغب، المفردات: (تفث).
(5) الخليل، العين: (قضى).

الأجل بمعنى انتهائه، ومعنى ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ لا يُحكم عليهم بموتٍ ثانٍ فيموتوا ويستريحوا[1].

2) ﴿يُخَفَّفُ﴾: أصل (خفّ) يدلّ على ما يُخالِفُ الثِّقَلَ والرَّزانَةَ، يُقالُ خَفَّ الشَّيْءُ يَخِفُّ خِفَّةً، وهوَ خَفيفٌ وخُفافٌ[2]، فالخَفيف يذكر بإزاء الثّقيل، ويقال ذلك باعتبارات مختلفة منها اعتبار المضايفة بالوزن، وقياس شيئين أحدهما بالآخر، نحو: درهم خفيف، ودرهم ثقيل[3]، ومعنى ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ أي: لا يخفف عنهم نوع عذابهم، والنّوع في نفسه يدخله أن يَخْبوَ أو يُسَعَّر ونحو ذلك[4].

3) ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾: أصل (صرخ) يَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ رَفيعٍ[5] والاصطراخ افتعال من الصّراخ وهو شدة الصّياح، ويصطرخون: بنى من الصّرخ "يفتعل"، وأُبدِلت من التّاء طاءٌ، وأصله يصرخون[6]، والاسْتِصْراخ: الاستغاثَة[7]، والمعنى المحوريُّ له: صياح حادّ نافذ كذلك الصّوت الذي يكاد يخرق الأذن[8]، ومعنى ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: يصرخون ويتصايحون ويستغيثون ويقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[9].

4) ﴿نُعَمِّرْكُم﴾: (عمر) له أَصْلانِ صَحيحانِ، أَحَدُهُما يَدُلُّ عَلَى بَقاءٍ وامْتِدادِ زَمانٍ، ومنه العُمْرُ وهوَ الحَياةُ، ويُقالُ: عَمِرَ النّاسُ: طالَتْ أَعْمارُهُمْ، وعَمَّرَهُمُ اللّهُ - جَلَّ ثَناؤُهُ - تَعْميرًا، والأصل الآخَرُ يدل عَلَى شَيْءٍ يَعْلو، مِنْ صَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ.[10] والملائم لقوله: ﴿نُعَمِّرْكُم﴾ هو الأصل الأول، والعَمْرُ والعُمْرُ: اسم لمدّة عمارة البدن بالحياة، فهو دون البقاء، فإذا قيل: طال عُمُرُهُ، فمعناه: عِمارَةُ بدنِهِ بروحه[11]، والمراد بالتّعمير: تطويل العمر[12].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 154.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خف).
(3) الرّاغب، المفردات: (خف).
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 441، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 36.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صرخ).
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 36.
(7) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (صرخ).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صرخ).
(9) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 690.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عمر).
(11) الرّاغب، المفردات: (عمر).
(12) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 319.

5) ﴿فَذُوقُواْ﴾: أصل (ذوق) يدل على اخْتِبار الشَّيْءِ مِنْ جِهَةِ تَطَعُّم، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ مَجازًا فَيُقالُ: ذُقْتُ المَأْكولَ أَذوقُهُ ذَوْقًا، وذُقْتُ ما عِنْدَ فُلانٍ: اخْتَبَرْتُهُ، وكُلُّ ما نَزَلَ بِإِنْسانٍ مِنْ مَكْروهٍ فَقَدْ ذاقَهُ[1]، وأصل الذّوق يقالُ فيما يقلّ تناوله دون ما يكثر، فإنّ ما يكثر منه يقال له: الأكل، واختير في القرآن لفظ الذّوق في العذاب، لأنّ ذلك - وإن كان في التّعارف للقليل - فهو مستصلح للكثير، فخصّه بالذّكر ليعمّ الأمرين[2]، والمراد به في الآية: الإيلام الشّديد، تهكُّمًا بهم[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ ندمِ أهلِ النّارِ حين لا ينفع النّدم ولا تُجدي الحسرة

بيَّن الله تعالى هنا جزاء الذين كفروا يوم القيامة؛ فإنّ لهم نار جهنم خالدين فيها، لا يُقْضَى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب، ولا يُخَفَّف عنهم من عذاب جهنم شيء، مثل هذا الجزاء نجزي يوم القيامة كلّ جحود لنِعَم ربِّه، وهم يصيحون فيها بأعلى أصواتهم يستغيثون قائلين: ربنا أَخرجنا من النّار نعمل عملًا صالحًا مغايرًا لما كنا نعمل في الدّنيا لننالَ رضاك، ونَسْلَم من عذابك، فيجيبهم الله: أَوَلم نجعلكم تعيشون عمرًا يتذكر فيه من يريد أن يتذكَّر، فيتوب إلى الله ويعمل عملًا صالحًا، وجاءكم الرّسول منذرًا لكم من عذاب الله؟! فلا حُجَّةَ لكم، ولا عُذرَ بعد هذا كلّه، فذوقوا عذاب النّار، فما للظّالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي من نصير ينقذهم من عذاب الله أو يخفّفه عنهم[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

عطف الجُمل مُفيدٌ في الإبانةِ عن المعنى المحتملِ

الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عاطفة، والجملة بعدها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذوق).
(2) الرّاغب، المفردات: (ذوق).
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 38.
(4) جماعة من علماء التّفسير، المختصر في التّفسير، ص: 438.

معطوفة على جملة: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾[1]، وغرض العطف الجمع في الحديث بين جزاء الطّائعين وجزاء الكافرين لتظهر المضادّة، فيفرح المؤمنون ويتحسّر الكافرون، وقيل: العطف على جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ ويكون ما بينهما اعتراضًا[2]، وجوِّز أن تكون الواو استئنافًا وما بعدها جملة مستأنفة[3].

نكتةُ التّعبيرِ بالموصولِ (الَّذينَ) وصلتِهِ:

التّنبيهُ على سببِ العذابِ، والحضّ على تصحيحِ المُعتَقَدِ

عبَّر بالاسم الموصول تنبيهًا على ما تضمّنته جملة الصّلة من الالتزام بطريق الكفر؛ لإبراز سبب دخول النّار وأنّه الكفر، وفي ذلك تخويف للكافرين وحضّ لهم على تحويل مسار اعتقادهم، وفيه أيضًا إلقاء الفرح والمسرّة في قلوب المؤمنين، حينما يعلمون أن الله تعالى قد انتقم لهم ممن نكّلوا بهم في الدّنيا.

بلاغةُ المقابلةِ بين حالِ المُصطَفَيْن والكافرين:

إفادةُ المقابلةِ أنّ ورثةَ الكتابِ هم أهلُ جنّاتِ عدنٍ

في ذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ بعد قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ - مقابلة الأقسام الثّلاثة للّذين أورثوا الكتاب بذكر الكافرين، ومقابلة جزائهم بجزائهم، يدلّ على أنّ أولئك الثّلاثة هم في الجنة، أي أنّ الجنّة دار للأقسام الثّلاثة جميعها على تفاوت في الزّمان والمكان[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 317.
(2) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 22/ 251.
(3) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 22/ 250، وصافي، الجدول: 22/ 278.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 35، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 317.

دلالةُ اللّامِ وتقديم شبهِ الجملةِ ﴿لَهُمْ﴾:

اللام في﴿لَهُمْ﴾: للاستحقاق للدّلالة على أنّ النّار قد أُعِدَّت لجزاء أعمالهم[1]، ويكون سبب تأخير المسند إليه من باب الفجيعة للكافرين والتّشويق للمؤمنين الذين يَسرُّهم معاقبةُ مَنْ كفروا بالله وجحدوا ألوهيَّته وربوبيَّته.

اللّامُ للاستحقاقِ، والتّقديمُ لاختصاصِهم بالخلودِ في النّارِ

ويجوز أن تكون اللّام للاختصاص لبيان أنّ البقاء فيها - أي في النّار - بلا انقطاع ولا تخفيف هو خاصّ بهم، ويكون في تقديم ضمير الكافرين على ذكر الجزاء دلالة على اختصاصهم به دون المؤمنين الذين قوبلوا بهم في الآية السّابقة، أي لهم وحدهم دون المؤمنين ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾، فإن قيل: عصاة المؤمنين أيضًا يدخلون النّار التي تختص بالكافرين؟ فالجواب: أنّهم إنْ دخلوها فدُخولُهم لفترة ثم يخرجون منها، أما البقاء فيها على الدّوام بلا انقطاع فهذا خاص بالكافرين، لقوله بعد ذلك ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾.

نكتةُ إضافةِ النّارِ إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾:

قيل: إنّ اسم جهنم مُعرَّب وأصله فارسي[2]، وعلى القول بأنّه عربي، فهو مشتق من الجهم أو الجهومة وهو الشّيء المخوف العابس الكريه[3]، وعندئذ يكون ما يحمله لفظ ﴿جَهَنَّمَ﴾ من معنى الكراهية والبغض والخوف هو مُسوِّغُ ذِكره وإضافة النّار إليه، وهو من إضافة الموصوف إلى الصّفة للدّلالة على التّمكن والملازمة بين الموصوف وصفته.

بيانُ أنّ العذابَ بالتّجهمِ فوقَ العذابِ بالنّارِ

نكتةُ فصلِ جملةِ ﴿لَا يُقْضَىٰ﴾:

فُصِلتْ جملة ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ عمّا قبلها ﴿لَهُمْ نَارُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 317.
(2) الرّاغب، المفردات، والجوهريّ، الصحاح (جهنم).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/ 326، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 272، والشّعراوي، تفسير الشعراوي: 7/ 4138.

﴿جَهَنَّمَ﴾، لما بينهما من كمال الاتصال لكون الثّانية بدل اشتمال[1] من الأولى.

دلالةُ دخولِ ﴿لَا﴾ على الفعلِ ﴿يُقْضَىٰ﴾:

مفاد النّفي الاستمرار، وعدم حصول المنفيّ حالًا واستقبالًا

نكتة التّعبير بالمضارع في قوله: ﴿يَمَسُّنَا﴾ المنفي بـ ﴿لَا﴾ هو الدّلالة على استمرار هذا النّفي وعدم انقطاعه في المستقبل، فإنّ ﴿لَا﴾ إنّما تكون لنفي الاستقبال باتفاق، ولنفي الحال أيضًا على رأي كثيرين، والمعنى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ في الحال ولا في الاستقبال؛ ليكتمل تيئيسهم من الفراغ من العذاب يومًا ما بموتهم أو بتخفيف العذاب عنهم، والفعل ﴿يُقْضَىٰ﴾ هنا هو من الانقضاء بمعنى الذّهاب والانتهاء، يقال: قضى الشّيء يقضي: إذا قطعه وأزاله[2]، وانقَضَى الشّيء وتَقَضَّى أي فني وذهب[3]، ويقال: قضيت حاجتي، وضربه فقضى عليه أي قتله كأنّه فرغ منه وانتهى، وسُمِّيَ قاضٍ أي قاتل[4].

ويمكن أن يكون من (قضى) بمعنى: حكم، ومنه قضاء الله أي: حكمه، وما أوجده في مخلوقاته[5].

وعبّر بصيغة المضارع المبني للمفعول المسبوق بـ ﴿لَا﴾ النّافية للدّلالة على عموم السّلب واستمرار النّفي، ثمّ للدّلالة أيضًا على أنّهم لا يملكون أمر أنفسهم في انهاء حياتهم أو بتخفيف العذاب عنهم، وأنّ ذلك إن حصل فإنّما يكون بإرادة الله الذي قضى عليهم بهذا العذاب الدّائم، وحكم عليهم به وحكمه العدل.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 272.
(2) الرّاغب، المفردات: (تفث).
(3) الخليل، العين: (قضى).
(4) شيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 39.
(5) شيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 39، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 317.

معنى الفاءِ في قولِهِ ﴿فَيَمُوتُواْ﴾:

الفاء في قوله ﴿فَيَمُوتُواْ﴾ هي فاء السّببيّة، أي فيموتوا بسبب أن قُضي عليهم بالموت؛ لأنّهم لو ماتوا لبَطَلَتْ حواسُّهم فاستراحوا[1].

دلالةُ التّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿فَيَمُوتُواْ﴾:

انتفاءُ السّببِ يدلّ على انتفاءِ المسبَّبِ

عبَّر بالمضارع في قوله﴿فَيَمُوتُواْ﴾ لدلالته على الاستقبال، أي فيموتوا بعد أن يُقضى عليهم وبسببه، والعامّة على نصبه بحذف النّون جوابًا للنّفي، وهو على أحد معنيي نصب (ما تأتينا فتحدِّثَنا)، أي: ما يكون منك إتيانٌ فلا حديثٌ، فانتفى السّبب وهو الإتيان، فانتفى مُسَبَّبُه وهو الحديث[2].

معنى الواوِ في قولِهِ ﴿وَلَا يُخَفَّفُ﴾:

العطفُ للفعلَيْن المَنفيَّيْن نفيٌ لوقوعِ أيٍّ منهما

الواو في قوله ﴿وَلَا يُخَفَّفُ﴾ للعطف، فقد عطفت هذه الجملة على سابقتها، وهي جملة ﴿لَا يُقْضَىٰ﴾ بقصد الجمع بين نفي القضاء عليهم بالموت، وتخفيف العذاب عنهم، أي: لا هذا، ولا ذاك.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿يُخَفَّفُ﴾:

المُرادُ نفيُ تخفيفِ نوعِ العذابِ وإن تفاوتَ في ذلك

الشَّيءُ الخفيف يُقال مقابلًا للشّيء الثّقيل وزنًا، وهذا أصله كما مضى بيانه في شرح المفردات، فإنّه يقال على ما يُخالِفُ الثِّقَلَ والرَّزانَةَ، فيُقالُ: خَفَّ الشَّيْءُ يَخِفُّ خِفَّةً، وهوَ خَفيفٌ وخُفافٌ[3].؛ لكنّه يستعمل بعد ذلك توسُّعًا في معانٍ كثيرة يَحْسِم المرادَ منها السّياقُ الوارد فيه هذا اللفظ لسياق، والمراد هنا بحسب السّياق خِفَّة نوع العذاب، أي: لا يُخفَّف عنهم نوع العذاب الذي حُكِم به عليهم، وفي ضوء هذا المعنى يُفهم أنّه لا تعارض بين قوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ وقوله تعالى في آية أخرى:﴿كُلَّمَا خَبَتْ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 440.
(2) السّمين، الدّرّ المصون: 9/ 234، والعكبري، التّبيان: 2/ 1076.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خف).

زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ [الإسراء: 97]؛ لأنّ المعنى لا يخفف عنهم نوع عذابهم، والنّوع في نفسه يدخله أن يَخْبوَ أو يُسعَّرَ ونحو ذلك[1]، وقيل في الجواب أيضًا: إنّ عذابها يكون شديدًا، فإذا خَبَتْ فإن لا يزال ألمها شديدًا حالًّا بهم، فألمُها يكون أوّلًا يزيد، فإذا خَبَتْ يقف حاله، ولا يزيد، ثم تشتعل بعد ذلك فيزداد عليهم الألم، فهي في نفسها تسكن، لا أن الألم النّازل بهم يخفف عنهم[2].

وأمّا سرّ اختيار صيغة المضارع وإيثارها على غيرها، فللدّلالة على استمرار النّفي وعمومه، أي عموم السّلب، وليس سلب العموم، والمعنى: لا يخفّف عنهم على الدّوام والاستمرار.

فائدةُ ذِكْرِ جملةِ نفيِ التّخفيفِ بعد نفيِ الموتِ:

فإن قيل: فما فائدة جملة ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ بعد جملة: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ وهي تقتضيها باللازم؟ كما إذا قيل: لم آكل، فإنه يعلم منه انتفاء الشّبع فلا حاجة بعده إلى نفي الشبع، فالجواب أن يقال: إن انتفاء التّابع وإن كان يُعلم من نفي المتبوع، لكنه نفاه بعد ذلك قصدًا للمبالغة في بيان انتفائه[3].

بيانُ انتفاءِ التّابعِ وإن كان ذِكْرُ المتبوعِ دالًّا عليه

دلالةُ التّقديمِ لشبهِ الجملةِ ﴿عَنْهُم﴾:

السّر في تقديم شبه الجملة﴿عَنْهُم﴾ على قوله ﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾، هو تقديم الأهم فالذين كفروا الّذين يعود إليهم الضّمير هم محور الحديث، وليس العذاب، فإن ذكره تابع لذكرهم لكونه جزاءهم.

تقديمُ الأهمِّ من بيانِ اللّغةِ المهمِّ

معنى ﴿مِّنْ﴾ في قوله ﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾:

﴿مِّنْ﴾ في قوله:﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾ للتّبعيض أي: بعض عذابها، ويجوز أن تكون ﴿مِّنْ﴾ زائدة، ويكون قوله: ﴿عَذَابِهَا﴾ مجرورًا لفظًا

الدّلالةُ على التّبعيضِ أو الزّيادةِ كلاهما مُفيدٌ في الإبانةِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 440.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 334.
(3) شيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 39.

مرفوعًا مَحَلًا على أنّه نائب فاعل ﴿يُخَفَّفُ﴾[1] وقيل: نائب الفاعل هو شبه الجملة ﴿عَنْهُم﴾، و﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾ في موضع نصب[2].

بلاغةُ المجازِ العقليِّ في الإسنادِ إلى الضّميرِ:

بيانُ أنّ المُعذِّبَ على الحقيقةِ هو الله تعالى

إضافة العذاب للضّمير العائد إلى نار جهنّم هو من باب إضافة الشّيء إلى ظرفه ومحلِّه، ففيه مجازٌ عقليٌّ؛ لأنّ المعذِّب في الحقيقة هو اللّه تعالى، والنّار هي محل هذا العذاب، وقيل: الضّمير يعود إلى جهنم ليشمل ما ورد من أنّ المعذَّبين يُعذَّبون بالنّار، ويعذبون بالزّمهرير وهو شدّة البرد، وكلّ ذلك من عذاب جهنم[3].

نكتة فصل جملة ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي﴾:

الفصلُ على الاستئنافِ البيانيِّ مُبينٌ للمعنى المُرَاد

فُصِلت جملة التّذييل﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ عن سابقتها على الاستئناف البيانيِّ، فكأنّه قيل: لِمَ لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم شيء من عذاب جهنم؟ فكان الجواب: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، فالتّذييل مقرّر لمضمون ما قبله، وبهذا يكون بين الجملتين شبه كمال اتصال.

بلاغةُ التّشبيهِ في قولِهِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

تشبيهُ الشّيءِ بنفسِهِ مبالغةٌ حين لا يوجَد له نظيرٌ لفظاعتِهِ

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، معناه: مثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، فيكون من باب تشبيه الشّيء بنفسه للمبالغة وكأنّه لفظاعته وشدته لا يوجد في الواقع ما يمكن أن يشبه به فشبّه بنفسه، على حد قول النابغة:

نُبِّئْتُ زُرْعَةَ والسَّفاهَةُ كاسْمِها *** يُهْدي إلَيَّ غَرائِبَ الأَشْعارِ

يعني أنّ السّفاهة لا يمكن أن تعرَّف ولا أن تُشبَّه بأكثر من اسمها الّذي تعرف به بين النّاس.

---

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 9/ 235، والعكبريّ، التّبيان: 2/ 1076.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 372.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 62، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 318، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 62.

نكتةُ التّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿نَجْزِى﴾:

بيانُ أنّ عذابَ الكافرين مُستمرٌّ بلا انقطاعٍ

عبَّر في قوله ﴿نَجْزِى﴾ بصيغة المضارع الدّالة على الاستقبال، لأنّ ذلك الجزاء يكون في الآخرة، والدّالة أيضًا على استمرار هذا الجزاء وتجدّده حال وقوعه، في ضوء ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: 97]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ﴾ [النّساء: 56].

والتفت من الغَيْبَة إلى التّكلُّم في قوله: ﴿نَجْزِى﴾ للإشعار بعظم هذا الجزاء وهَوْلِه.

بلاغةُ توجيهِ القراءاتِ في قولِهِ ﴿نَجْزِى﴾:

توجيهُ القراءتين وأكثر يوسّع المعنى ويثْريه

في قوله: ﴿نَجْزِى﴾ قراءتان؛ فقد قرأ أبو عمرٍو ﴿يُجْزَى﴾ مبنيًّا للمفعول، و﴿كُلُّ﴾ مرفوع به، وقرأ الباقون ﴿نَجْزِى﴾ بنونِ العظمة مبنيًّا للفاعل، و﴿كُلَّ﴾ مفعول به، فالحجّة لمن ضم: أنّه دلّ بالفعل على بنائه لما لم يسمّ فاعله، فرفع ما أتى بعده به، والحجّة لمن قرأه بالنّون والفتح: أنّه أراد: حكاية ما أخبر الله ﷻ عن نفسه، ونصب قوله: ﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾ بتعدّي الفعل إليه[1].

فائدةُ التّوكيدِ والمبالغةِ في ﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾:

كلّ جاحدٍ لألوهيّةِ اللهِ تعالى هو لا محالةَ كفورٌ

كل صيغة موضوعة للدّلالة على العموم، وهي بذلك دالَّةٌ على أنّ هذا الجزاء مُحدِقٌ ومحيطٌ بكلّ كفور، والواقع أنّ كلّ مَنْ كفر بالله وجَحَد وجوده هو كفورٌ مُفْرِطٌ في الكفر مبالغ فيه، وقيل في توجيه المبالغة في ﴿كَفُورٍ﴾ أيضًا: أي مبالغ في الكفر بانضمام أذى المُسْلمينَ إلَى الكفر، أو بانضمام سائر المعاصي[2].

(1) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السبع، ص: 296، والسّمين الدّرّ المصون: 9/ 235.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 73.

دلالةُ الواوِ في قولِهِ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾:

الواو عاطفة؛ عطفت جملة (هم يصطرخون) على جملة: ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾[1] وقيل: على جملة: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ﴾[2].

غرضُ تقديمِ المُسنَدِ إليه على المُسنَدِ الفِعليّ:

قَصْرُ الاصطراخِ على الكفارِ دون غيرِهِم مُعبِّرٌ عن المُرَاد

قوله تعالى:﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾، قدَّم المسند إليه (هم) على المسند الفعليّ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ للدّلالة على اختصاصهم بهذا الفعل واستئثارهم به، فَهُم وحدَهُم دون غيرهم ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ في جهنم ويستغيثون من شدة عذابها؛ أما المؤمنون فهم سعداء بما هم فيه يحمدون الله الذي أحلَّهم دار المُقامَة من فَضْله، كما أنّ صيغة الفعل وهي المضارع تدلّ على استمرارِهم على هذا الصّراخ وتجدُّدِ استغاثتهم حيث لا مُنقِذَ لهم ولا مغيثَ من دون الله، ويَحتمِل أن يكون غرض تقديم المسند إليه تقويةَ الحكم[3].

نكتةُ المبالغةِ في الفعلِ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾:

بولغ في الفعلِ للدّلالةِ على شدّةِ صياحِهم واستغاثتِهم

قوله: ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ هو افتِعالٌ من الصُّراخ شدَّةِ الصّياحِ والاستغاثة بسبب العذاب، وأصله (يَصْتَرِخونَ) ثم أبدلت التّاءُ طاءً، للمناسبة بين الصّاد والطّاء؛ لأنّهما حرفا إطباقٍ وحرفا استعلاءٍ فصارت ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾[4]، وفيه مبالغة؛ لِأَنَّهُ افْتِعالٌ مِنَ الصُّراخِ وهوَ الصّياحُ بِشِدَّةٍ وجُهْدٍ، فالاصْطِراخُ مُبالَغَةٌ فيهِ، أَيْ يَصيحونَ مِنْ شِدَّةِ ما نابَهُمْ[5]، فصيغة الافتعال تفيد أنّ الصّراخ صادر منهم عَلَى وجه الجدّ والشّدة غير ما أفاده نفس الصّراخ[6]، كما أنّ ما فيه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 36.
(2) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 22/ 253.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 74.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 36، وشيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 40، والآلوسي، روح المعانيّ: 11/ 372.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 318.
(6) ابن التّمجيد، حاشية ابن التّمجيد مع القونويّ: 16/ 74.

من حروف الاستعلاء والتّفخيم يُشعِر بخشونة أصواتهم مع شدّة ارتفاعها لتصوير حالهم من التّذلل والاستغاثة.

دلالةُ المَجازَ في كلمةِ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾:

إطـــــــلاقُ الاصـطـراخِ على الاستغاثةِ مُفيدٌ في الـبـيـانِ عن المُرادِ

مضى أنّ كلمة ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ افتعال من الصّراخ، وهو الصّوت الشّديد، ويعمد المفسّرون إلى تفسيره بيستغيثون، وعليه فهو مجاز مرسل بعلاقة الإطلاق، أي "إطلاق المطلق على المقيّد، فإنّ الصّراخ كما رفع الصّوت أي بأي وجه كان، واستعمل في رفع الصّوت مطلقًا، والاستغاثة رفعه طلبًا للغَوْث"[1].

نكتةُ فصلِ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ وغرضُ ندائِهِ:

الاخـــتـــلافُ في غـرضِ الـفـصلِ مُفيدٌ في تجليةِ المعنى

وَجُمْلَةُ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ مقول قول مُضْمَر، وذلك القول إنْ شئتَ قدَّرْتَهُ فعلًا مفسِّرًا لـ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ أي يقولون في صراخهم: ربنا أخرجنا من النّار، وإنْ شئتَ قدَّرْتَهُ حالًا من فاعل ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ أي قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾[2]، وعلى هذا فجملة النّداء بَيانٌ لِجُمْلَةِ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾، ولهذا فُصِلتْ عنها، وغرضهم من هذا النّداء هو ظَنُّهم أنّه الأجدى في قبول استغاثتهم؛ لكونهم حسبوا أَنَّ رَفْعَ الأَصْواتِ أَقْرَبُ إِلَى عِلْمِ اللّه بندائهم، ولإظهار عَدَمِ إطاقَةِ ما هُمْ فيهِ[3].

ويَحْتَمِل أن تكون جملة النّداء – وهي مقول قولهم – جوابًا عن سؤال مقدَّر؛ أي: فماذا قالوا حال اصطراخهم واستغاثتهم؟ فكان الجواب: قالوا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾

واستخدام النّداء في الاستغاثة إما مَجازًا لجهر المستغيث صوتَه، أي لتحقق الصّراخ فيه، أو لكونها من أفراده[4].

(1) شيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 40.
(2) شيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 40.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 62، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 318.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 74.

دلالةُ النّداءِ بلفظِ الرّبوبيّةِ ﴿رَبَّنَآ﴾ مُضافًا إلى الضّميرِ:

وفي استغاثتهم ونداءهم مُؤْثِرينَ لفظَ الرّبوبية ﴿رَبَّنَآ﴾؛ استرحام واستدعاء لرحمة الرّبوبية وعطْفِها، وفيه إبرازٌ لمدى تذلّلهم في الاستغاثة، وإشعارٌ بما هم فيه من ضَنْكٍ وسوءِ حال.

غرضُ فعلِ الأمرِ ﴿أَخْرِجْنَا﴾:

قولهم: ﴿أَخْرِجْنَا﴾ هو على سبيل الدّعاء والرّجاء، فالأمر خارج عن أصل معناه إلى الدّعاء.

الموقعُ النّحويُّ لقوله ﴿نَعْمَلْ﴾ و﴿صَٰلِحًا﴾:

التّخريجُ الإعرابيُّ للجملةِ مُفيدٌ في الإبانةِ عن دلالتِها

جملة ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ جملة لا محلَّ لها من الإعراب جواب شرط مُقدَّر، أي: إنْ أخرجتنا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾[1]، أو يُقال: جزم الفعل على أنّه جواب للدّعاء، والتّقدير هو نفسه: إنْ تُخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحًا[2] وكلمة ﴿صَٰلِحًا﴾ مفعول به، أو صفة لمصدر محذوف أي (عملًا صالحًا)[3].

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿صَٰلِحًا﴾:

التّنكيرُ بغرضِ التّفخيمِ للعملِ منبئٌ عن معنى السّياقِ

نكّر ﴿صَٰلِحًا﴾ على نية تفخيم العمل الذي سيقومون به لو استجيب دعاؤهم بالإخراج من النّار والعَوْدِ إلى دار الدّنيا لاستدراك ما فاتهم من الأعمال الصّالحة، لكن هيهات! وهذا الرّجاء منهم كما يكون في الدّار الآخرة عندما يَصْطَلون بالنّار، يكون منهم كذلك عند معاينةِ الموت وفَوْتِ وقت التّوبة، كما قال سبحانه في ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99 - 100]

(1) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 22/ 254، والخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 3/ 1006.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 319.

(3) الدعاس، إعراب القرآن: 3/ 84.

دلالةُ موقعِ ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي﴾:

قوله: ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ بنصب ﴿غَيۡرَ﴾ على جواز أن يكون مثل ﴿صَٰلِحًا﴾ صفة أخرى للمصدر المحذوف أي: (عملًا صالحًا غيرَ الذي ...) أو لمفعول به محذوف، ويجوز أن يكون ﴿صَٰلِحًا﴾ نعتًا للمصدر و﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي﴾ هو المفعول، وجملة ﴿كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ صلة الموصول، وكان واسمها وجملة نعمل خبر كنا[1].

التّخريجاتُ والاحتمالاتُ النّحويّةُ سعةٌ في الدّلالةِ مُفيدةٌ

سرُّ التّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِي﴾ وصلتِهِ:

جاء التّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِي﴾ الدّال بذاته على معيّن قصدًا منهم إلى عمل بعينه وهو الشّرك؛ لأنّه الذّنب العظيم الذي قادهم إلى ما بعده من عداوة النّبي ﷺ ومحاربته، وقادهم كذلك إلى استمراء سائر المعاصي التي دأبوا على فعلها دون ارْعِواءٍ، فوَعَدوا إن هم عادوا إلى دار العمل ليعملنَّ أعمالًا أخرى تتفق والإيمان بالله، مخالفة لما كانوا يعملونه وهم كافرون، وقيدوا العمل بهذا الوصف: عملا ﴿صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ "إشعارًا بأنّهم كانوا يحسبون ما فعلوه صالحًا، والآن تبيّن خلافه؛ إذ كان هوًى وطبعًا ومخالفةً، وللتّحسّر على ما عملوه من غير الأعمال الصّالحة مع الاعتراف منهم بأنّ أعمالهم في الدّنيا كانت غير صالحة"[2]، أو أنّهم كانوا يعرفون أنّهم عملوا غير صالح والأمر لم يلتبس عليهم وأنّهم قالوا ذلك لما أُسقِط في أيديهم فندموا وتحسَّروا، وتَمَنَّوا الرّجوع إلى الدّنيا ليؤمنوا ويعملوا صالحًا، فقولهم هذا منطوٍ على ندم شديد على ما وقع منهم من إفراط وتفريط، وتَحسُّرٍ على ما فاتهم من الإيمان بالله وعمل الصّالحات.

تمنّي الرّجوعِ إلى الدّنيا للاستدراكِ حينَ فاتَ الإدراكُ

بلاغةُ الإطنابِ في قولِهِ: ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي﴾:

قال الزَّمَخْشريُّ: فإن قلتَ: هلّا اكتفى بـ ﴿صَٰلِحًا﴾ كما اكتفى

(1) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 161.

(2) شيخ زادة، حاشية زاده: 7/ 40، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 440.

به في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة: 12] وما فائدة زيادة ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ ... ؟ قلت: فائدته زيادة التّحسر على ما عملوه من غير الصّالح مع الاعتراف به، وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي[1].

بيانُ زيادةِ تحسيرِهم على ما أفْنَوا فيه حياتَهم من الكفرانِ والعصيانِ

والحاصل أنّ قوله: ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ إطنابٌ؛ لأنّه لو اكتفى بالمَوْصوف لكفى كقَوْله تَعالَى: ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: 12] ووجه الإطناب زيادة التّحسُّرِ كما ذكر الزّمخشري، وهذه النُّكْتَة علَّة مصححة لا موجبة فلذا ترك هذا الوصف في آية سورة السجدة المَذْكورة[2].

نكتةُ فصلِ قولِهِ: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾:

الفصل في جملة: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ عمّا قبلها للاستئناف البيانيّ؛ لكونه ناشئًا جوابًا عن سؤال مقدَّر عن الذي أجابه به ربهم لما دعَوه ورجَوه أن يعودوا إلى الدّنيا؛ فكان الجواب بتقدير فعل قول مضمر، أي، قال لهم: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ ففيه شبه كمال اتصال.

الفصلُ للاستئنافِ البيانيِّ مُفيدٌ في استجلاءِ المعنى

بلاغةُ الاستفهامِ ونوعُهُ وغرضُهُ:

الاستفهام في قوله: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ للتّوبيخ والتّقريع والتّقرير، وهو متناوِلٌ لكلّ عُمُرٍ تمكّن فيه المُكلَّف من إصلاح شأنه وإن قصُر، إلّا أنّ التّوبيخ في المتطاوِل - الّذي عُمِّر طويلًا - أعظم[3].

بيانُ أنّ الاستفهامَ مُفيدٌ للتّوبيخِ والتّقريعِ والتّقريرِ

دلالةُ الواوِ على الجملةِ المحذوفةِ:

الواوُ للعطفِ عَطَفتْ ما بعدها على مُقَدَّرٍ يقتضيه المقامُ بينها وبين همزة الاستفهام، أي: ألم نمهلْكُم؟، أو: أَلَم نُؤخِّرْكُم؟ ولم ﴿نُعَمِّرۡكُم﴾[4]، أي نؤخّركم عُمُرًا يتذكّر فيه من تَذكَّر.

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 615.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 74.
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 615، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 63.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 154، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 74.

دلالةُ التّعبيرِ بجملةِ ﴿نُعَمِّرْكُم﴾:

استحضارُ الحالِ وقتَ التّقريعِ والسّؤالِ

معنى (عمر) يدلّ عَلَى بَقاءٍ وامْتِدادِ زَمانٍ، يُقالُ: عَمِرَ النّاسُ: طالَتْ أَعْمارُهُمْ[1] في هذه الحياة أي وجودهم في الدّنيا بدَنًا وروحًا عِمارَةُ[2] وصيغة المضارع الهدف منها أن يستحضر حالهم وقت تقريعهم وسؤالهم.

معنى ﴿مَّا﴾ في السّياقِ المُحكمِ:

الإحالة على النكرة لإفادة التمكن مع امتداد مدّة التذكر

نكرة موصوفة، والمعنى: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم تعمُّرًا يتذكر فيه من تذكّر)، أو (زمانًا يتذكَّر فيه من يريد أن يتذكَّر)، أي: يتمكَّنُ فيه المُتذكِّرُ من التَّذكُّرِ والتَّفكُّرِ[3] وهو الوجه الأرجح[4]، ويجوز أن تكون مَصْدَريَّة ظَرْفيَّة، على تقدير (مُدَّةَ تَذَكُّرٍ)، حكاه أبو حيّان[5]، وردّه السّمين قائلًا: وهذا غَلَطٌ؛ لأنَّ الضميرَ في ﴿فِيهِ﴾ يمنعُ مِنْ ذلك لعَوْدِهِ على ﴿مَّا﴾، ولم يَقُلْ باسميَّةِ ﴿مَّا﴾ المصدريةِ إلّا الأخفشُ وابنُ السَّراج[6]، ويُضَعِّفُه أيضًا أنّ ﴿مَّا﴾ المصدرية الظّرفية يَقِلُّ كون صلتِها مضارعًا مثبتًا[7].

دلالةُ التّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يَتَذَكَّرُ﴾:

بيانُ أنَّ استحضارَ صورةِ التّذكّرِ مبنيّةٌ على التّأملِ والتّفكرِ

عبّر بالمضارع في قوله: ﴿يَتَذَكَّرُ﴾، استحضارًا لصورة التّذكّر الّذي يُبنى في العادة على التّفكر والتّأمل، وهي حالة متكرّرة متجدّدة مترقّية، لا تؤتي ثمارها وافية إلّا بالتّأني وطول التّفكُّر، وكثرة التّأمّل.

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عمر).
(2) الرّاغب، المفردات: (عمر).
(3) السّمين، الدّرّ المصون: 9/ 336، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 154.
(4) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن: 3/ 4.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 36.
(6) السّمين، الدّرّ المصون: 9/ 336.
(7) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن: 3/ 4.

دلالةُ التّعبيرِ بالظّرفيّةِ المُقدَّمة ﴿فِيهِ﴾:

حياتُهم كافيةٌ للاعتبارِ لو أنّهم كانوا من أولي الأبصارِ

التّعبير بالظّرفية في ﴿فِيهِ﴾ يدلُّ على كفاية هذا الزّمن الذي تُرِكوا فيه على قيد الحياة للاعتبار والاتعاظ، وتقديمها مفيد للاختصاص لأنّ هذا الزّمان وحده هو الملائم للتّذكر، أما الدّار الآخرة فليست دار عمل وإنّما هي دار جزاء، وأيضًا فإنّ هذا التّقديم لازم لسلامة معنى الجملة؛ إذ لو أُخِّر فقيل (ما يتذكر من تذكر فيه) لأوهم أنّ (ما) نافية وليست نكرة موصوفة، فيكون المعنى: لا يتذكر من أراد التّذكر فيه، مع أنّ المقصود إثبات خلافه.

وكون ﴿مَّا﴾ نافيةً في قوله: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ﴾ قولٌ فاسدٌ غير مستقيم لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى: أما من جهة اللفظِ فلأنها - أي ﴿مَّا﴾ - يجبُ قَطْعُها عن ﴿نُعَمِّرْكُم﴾، لأنّه لا يجوزُ أن يكونَ النّفيُ من معمولِه، وأيضًا فإنَّ الضّمير في ﴿فِيهِ﴾ يرجع إلى غير مذكور، وأما المعنى: فلأنّ قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ إنما سيق لإثباتِ التّعميرِ وتوبيخِهم على تركِهم التّذكيرَ فيه، فإذا جُعِلَ نفيًا كان فيه إخبارٌ عن نفي تذكُّرِ مُتذكّرٍ فيه، فظاهرُه على ذلك نَفْيُ التّعمير؛ لأنّه إذا كان زمانًا لا يتذكَّرُ فيه متذكِّرٌ لزِمَ أن لا يكون تعميرًا وهو خلافُ قولِه: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾[1].

عودُ الضّميرِ في شبهِ الجملةِ ﴿فِيهِ﴾:

بيان أنّ عود الضّمير إلى (ما) لكونها نكرةً موصوفةً أو موصولةً

الضّمير في ﴿فِيهِ﴾ يعود إلى ﴿مَّا﴾ على اعتبار كونها نكرةً موصوفةً أو موصولة، لا مصدرية، فقد مضى أنّه لا يجوز عود الضّمير على ما المصدرية إلّا على مذهب الأخفشِ وابنِ السَّراج اللَّذَيْن اعتبراها اسمًا، قال الشّهاب: ولعله - أي بناءً على القول بأنّها مصدريَّة - يُجعل الضّمير للعُمُر المفهوم من "نُعمِّر" فلا غلطَ فيه[2] حينئذ.

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 664، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 75.
(2) الخفاجي، حاشية الشّهاب: 7/ 227.

دلالةُ التّعبيرِ بالأداةِ ﴿مَن﴾:

﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن تَذَكَّرَ﴾ هي الموصولة، وأوثر التّعبير بالموصول للإيماء إلى ما تَضمَّنَتْه جملة الصّلة من التّنبيه على لزوم التّذكُّرِ في حينه؛ لئلا يقع ندم بعد فوات أوانه.

دلالةُ جملةِ ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾:

جُمْلَةُ ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾، صِفَةٌ لـ ﴿مَّا﴾ أي على كونها نكرة موصوفة، والمعنى: زَمانًا كافيًا بِامْتِدادِهِ لِلتَّذَكُّرِ والتَّبَصيرِ[1].

نكتةُ حذفِ مفعولِ التّذكّرِ:

حـذفُ المفعولِ للعلمِ بِـهِ، أو لـكـونِ الـتّـذكـرِ مَجازًا مُرسَلًا

قوله: ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ حذف المفعول للعلم به أي يتذكَّرُ عذابَ الله وسُبُلَ النّجاة منه، أو يكون المراد بالتّذكُّر الإيمان والعمل الصالح فهو على هذا مجاز مرسل من إطلاق السّبب وهو التّذكر وإرادة المسبَّب وهو الإيمان وعمل الصّالحات بدلالة المقام[2].

سرّ التّعبيرِ بالماضي ﴿تَذَكَّرَ﴾ دونَ المضارعِ:

في الـتّـعـبـيرِ بالماضي تيئيسٌ لهم من العودةِ إلى الدّنيا

لما كان التّفكر بعد البعث غير نافع، لأنّه بعد كشف الغطاء؛ عبَّر بالماضي فقال: ﴿مَن تَذَكَّرَ﴾ إعلامًا بأنّه قد خُتم على ديوان المتذكّرين، فلا يزاد فيهم أحد[3]، وفي هذا تيئيس لهم وقَطْعٌ لأطماعهم في العودة إلى الدّنيا من جديد لتدارك ما فاتهم من الإيمان والعمل الصّالح حسب زعمهم، لكن القرآن يشهد بأنّهم لو عادوا لعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: 27 - 28].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ص: 319.
(2) المطعني، التّفسير البلاغي لآيات الاستفهام: 3/ 310.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 63.

دلالةُ الواوِ في قولِهِ ﴿وَجَآءَكُمُ﴾:

عـطفُ الجملةِ الـخـبريّـةِ على معنى الإنشائيّةِ مُـفـصـحٌ عـن الدّلالةِ

الواو في قوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ عاطفة لجملة ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾، وهي خبريّة على معنى جملة: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ وهي إنشائيّة؛ إذ هي على معنى: قد عمّرناكم وجاءكم النّذير، أي أنّ قوله: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ وإن كان إنشاء صورة، لكنَّه خبر في المَعْنَى؛ لأنّ الاسْتفْهام للتّقرير أي للتّثبيت، فالمَعْنَى عَمَّرْناكم قَدْرَ ما يَتذَكَّر فيه مَن تَذكَّرَ وجاءَكمُ النّذير، ولم يَبْقَ لكم عذرٌ في ترك التّذكر[1].

قال الزّمخشريّ: فإنْ قلتَ: عَلامَ عطفُ ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾؟ قلتُ: على معنى: أَوَلَم نُعَمِّرْكُم، لأنّ لفظه لفظ استخبار، ومعناه معنى إخبار، كأنّه قيل: قد عمرناكم وجاءكم النّذير[2]، ومجموع الجملتين فيه إلزام الحجّة عليهم بالعقل والسّمع؛ فإنّ التّذكر من باب العقل، والإنذار من باب السّمع[3].

معنى الفاءِ في قولِهِ ﴿فَذُوقُواْ﴾:

بيانُ أنّ التّذييلَ والتّفريعَ مُنْبِئٌ عـن تيئيسِهِم من الخلاصِ

الفاءُ في ﴿فَذُوقُواْ﴾ لِلتَّفْريعِ، وجملة ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ الّتي بعدها، تفريع على ما سبق من الحكاية، فيجوز أن يكون من جملة الكلام الّذي وبّخهم اللّه به، فهو تذييل له وتفريع عليه، لتيئيسهم من الخلاص، يعني: فأين الّذين زعمتم أنّهم أولياؤكم ونصراؤكم فما لكم من نصير[4] وقيل: الفاء للتّعليل[5]، أي فبسبب ذلك (ذوقوا).

دلالةُ الأمرِ ﴿فَذُوقُواْ﴾، وحذف مفعولِهِ:

الأمر في قوله ﴿فَذُوقُواْ﴾ أمرُ إهانةٍ مستعمَلٌ في معنى الدّوام،

(1) ابن التّمجيد، حاشية ابن التّمجيد مع القونويّ: 16/ 75.
(2) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 616.
(3) شيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 40.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 320.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 76.

وهو كناية عن عدم الخلاص من العذاب، وحذف مفعول ﴿فَذُوقُواْ﴾ لدلالة المقام عليه، والتقدير: ذوقوا العذاب[1].

بلاغةُ الاستعارةِ بالذّوقِ عن العذابِ:

توجيهُ الآيةِ بناءً على الاستعارةِ مُفصحٌ عن المُرادِ

في التّعبير عن إدراك عذاب جهنّم للكافرين بالذّوق في قوله ﴿فَذُوقُواْ﴾ استعارة تصريحيّة تبعيَّة؛ إذ إنّ في استعارة الفعل ﴿فَذُوقُواْ﴾ للفعل اصطلوا أو تألموا ونحوه تشبيها للإيلام بالذّوق في قوة الإحساس ودِقَّتِه، ويمكن الحمل على الاستعارة المكنيّة فتكون كلمة الذّوق قرينة دالة عليها؛ إذ التّذوق من خصائص المطعومات من الأكل والشّرب، فيكون قد شبه العذاب بالمطعوم ثم حذف المشبّه به وعبر عنه بشيء من لوازمه وهو التّذوق الذي يعبر عنه الفعل ﴿فَذُوقُواْ﴾، وفيه إشعار بمدى إدراكهم الدّقيق وتألّمهم العميق بكلّ مكوّنات العذاب ومظاهره، تماما كما يدرك المرء بحاسّة الذّوق الدّقيقة في إدراكها وإحساسها بما يمر عليها من طعام وشراب، كما أنّ فيه إشعارًا بالملازمة فكما أنّ الإنسان لا يفارق الطّعام والشّراب لحاجته إليهما في معاشه، فكذلك الكفّار لا يفارقهم العذاب، وكأنّ حياتهم في النّار قوامها العذاب، كما يشير إلى بعض ألوانه وصوره قوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 43 - 46].

معنى اللّام في قوله ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

اللّام في ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ هي لام المُلْك المنفيّة، أي: لا يملكون نصيرًا، وتَحْتَمِل أن تكون لام الأجْل أي: ليس لأجْل الظّالمين من نصير بسبب ظلمهم.

معنى(أل) في ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

المُرادُ نفيِ النّصيرِ لجميعِ المشركين الظّلمةِ

معنى(أل) في ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ للاسْتغْراق، والمُرادُ بالظّالمين الكافرونَ؛

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 243، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 320.

إذ الشّرك ظلمٌ عظيمٌ، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13] والنّفي لوحظ أولًا، ثم الاستغراق ثانيًا فيفيد الاستغراق في النّفي، لا نفي الاستغراق لفساد المَعْنَى[1].

بلاغةُ الالتفاتِ من الخطابِ إلى الغَيْبَةِ:

التّصريحُ بذِكْرِ الظّالمين لأنّهم منعوا النّصيرَ بسببِ ظلمِهم

قوله ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾، وفيه قال ابن عاشور: وعُدِلَ عن ضمير الخطاب أن يقال: (فما لكم من نصير)، إلى الاسم الظّاهر بوصف (الظّالمين) لإفادة سبب انتفاء النّصير عنهم، ففي الكلام إيجاز، أي: لأنّكم ظالمون، وعليه ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾، فالمقصود ابتداءً نفيُ النّصير عنهم، ويَتبعُه التّعميم بنَفْيِ النّصير عن كلّ من كان مِثْلَهم من المشركين، ويجوز أن يكون كلامًا مُستقلًّا مُفَرَّعًا على القصّة ذُيِّلَتْ به للسّامعين من قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾، فليس فيه عدولٌ عن الإضمار إلى الإظهار؛ لأنّ المقصود إفادةُ شمولِ هذا الحُكم لكلّ ظالم فيدخل الذين كفروا المُتَحدَّثُ عنهم في العموم[2].

نكتةُ تنكيرِ ﴿نَّصِيرٖ﴾:

بيانُ أنّ التّنكيرَ لإفادةِ التّعميمِ لوقوعِ النّكرةِ في سياقِ النّفي

نكَّر قوله ﴿نَّصِيرٖ﴾ لإفادة العموم، فالنّكرةُ في سياق النّفي تَعمُّ؛ أي ما لهم أي نصير يدافع عنهم، وأول من يتخلى عنهم أولياؤهم ورؤساؤهم، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 76.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 320.

نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾

[سبأ: 31 - 33].

فائدةُ تعميمِ لفظِ ﴿نَّصِيرٍ﴾:

الانتصارُ للظّالِم مهما كانت قرابته هو تجاوزٌ للحقّ

ومن فوائد تعميم (الظالمين) وتعميم (النّصير) اقتضاءُ أنّ نَصْرَ أيِّ ظالم تجاوزٌ للحقّ، لأنّ اقتفاء الحقّ يقضي بألّا يكون للظّالم نصير، إذ واجب الحكمة والحقّ أن يأخذ المقتدر على يد كلّ ظالم؛ لأنّ الأمّة مكلّفة بدفع الفساد عن جماعتها، وفي هذا إبطال لخُلُقِ أهل الجاهليّة القائلين في أمثالهم "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"، وقد ألقى النّبيّ ﷺ على أصحابه إبطال ذلك، فَساقَ لهم هذا المثلَ حتّى سألوا عنه ثمّ أصلح معناه مع بقاء لفظه، فقال: «إذا كان ظالمًا تَنْصُرُه على نفسه فتَكُفُّه عن ظُلْمِه»[1].

سرُّ التّعبيرِ بكلمةِ ﴿نَّصِيرٍ﴾ مفردةً:

استغراقُ المُفرد أشملُ في السّياقِ وأبلغُ

وأما عن سرّ اختيار المفرد للاستغراق حيث قال ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ ولم يَقُلْ (من أنصار) كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: 192]، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [آل عمران: 56] وقوله: ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: 29] – فلأنّ استغراق المفرد أشمل[2]، ويمكن أن يقال: إنّ الله تعالى قال في آل عمران ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: 192] وقال: ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: 29] وقال ها هنا: ﴿فَمَا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 320، ونص الحديث كما في صحيح البخاري تحت رقم: (6952) عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «انْصُرْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا» فقال رجل: يا رسول الله، أَنصُرُه إذا كان مظلومًا، أفرأيْتَ إذا كان ظالمًا كيف أنصُرُه؟ قال: «تَحجُزُه أو تَمْنَعُه من الظّلم، فإنّ ذلك نَصْرُه».

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 76.

لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي هذا وقت كونهم واقعين في النّار، فقد أَيِسَ كلّ منهم من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النُّصْرةَ، ولم يبقَ إلا توقعهم من الله فقال: ما لكم من نّصير أصلًا، وهناك كان الأمر مَحْكيًّا في الدّنيا أو في أوائل الحشر، فنفى ما كانوا يتوقعون منهم النّصرة وهم آلهتهم[1].

علّةُ التّعبيرِ بالجملةِ الاسميّةِ ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾:

عبَّر بالجملة الاسميّة، في قوله: ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾، لثبوت الحكم عليهم ودوامه؛ فما لأيّ ظالم في أي وقت نصير من دون الله، يحجب عنهم عذابه، ويمنع عنهم عقابه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العمل والفعل والصُّنْع:

الفعلُ أعمّ من كلٍّ من العملِ والصّنعِ، والصّنعُ أخصُّ منهما

لا شكَّ أن بين الفعل والعمل تقاربًا دلاليًّا ومشتركًا يسمح بأنّ يحلّ أحدهما محلّ الآخر في كثير من المواضع، وقد قيل في الفرق بين الفعل والعمل:

أولًا: العمل هو ما يكون عن قصد وإدراك، بخلاف الفعل، فقد يكون بغير قصد، ولذلك فإنّ ما يُنسب إلى الحيوانات هو فعلٌ وليس عملًا[2].

ثانيًا: وقيل أيضًا: إنّ الفعل يُطلق على ما يمرّ سريعًا وينقضي ولا يكون له أثر، أمّا العمل فيقال لما يكون له أثر[3] ومن العَمَل الفعلُ باليد من زراعة وتلقيح وسَقْيٍ[4] لأنّ ما يعمله الإنسان بِكَدِّ يده له أثناء عمله على العامل، ويبقى أثره.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 36/ 243.
(2) الرّاغب، المفردات: (عمل - فعل).
(3) أبو حيان التّوحيدي، المقابسات، ص: 280، والرّاغب، المفردات: (عمل).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عمل).

فقد لوحظ في استعمال القرآن الكريم أنّه إذا كان المقام مقام تعبير عن ممارسة دنيء الأخلاق فإنّه يؤثر التّعبير بلفظ الفعل، كما هو الشّأن في آية هود ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ [هود: 87] والفعلة المرادة هي بخس النّاس أشياءهم والنّقص في الكيل والميزان، وهي من أحط الخصال وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ﴾ [الأعراف: 28].

وبهذا المعيار، فإنّنا إذا نظرنا إلى التّطفيف في الكيل والميزان وما يشابهه من التّعامل بالرّبا، فإنه لا كدٌّ فيه ولا تَعَبٌ، بل ينقضي بلا أثر من تعب ونحوه، وكذلك النّظر إلى من يفعلون الفاحشة فإنّها تنقضي سريعا كنشوة عابرة دون أن يُكَدَّ لها بتحمل مسؤولية ولا غيرها.

وأمّا الصُّنْعُ: فهو إجادةُ الفعل، فكلّ صُنْعٍ فِعْلٌ، وليس كلّ فعل صُنْعًا، والصّنع كما هو أخصّ من الفعل هو كذلك أخصّ من العمل[1].

ولا يُنسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل، فهو ينسب إلى الله تعالى كما في قوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النمل: 88]، وإلى البشر كما في قوله تعالى: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ [هود: 38][2].

كما أنّ الصُّنْعَ يفترق عن الفعل، في كونه مقيَّدًا بالقصد كالعمل، إلّا أنّه أخصّ منه - أي من العمل - من جهة كونه مقيَّدًا بالعمل أو الفعل المتقن، وبذلك يظهر أنّ الفعل هو أعمّ منهما.

الوليّ والنّصير:

بين الولايةِ والنُّصرةِ مشتركٌ قد يجتمعان فيه، ومُفترقٌ يختلفان فيه

ويفرَّق بينهما بأنّ الولاية لا تكون إلا عن محبَّة، فالوليّ إنما يتولّى أمر من يحب فقط فيدافع عنه وينصره، أما النّصير فقد يتولى النّصرة لا عن محبَّة للمنصور وإنما لسبب آخر غير المحبة اقتضى تقويته والانتصار له.

(1) الرّاغب، المفردات: (فعل).
(2) الرّاغب، المفردات: (صنع).

وأيضًا فإنّ الوليَّ قد لا يستطيع النّصرة، فالنّصرة ليست من مقتضيات الولاية؛ أما النّاصر، فلا يسمى ناصرًا إلا بهذه الاستطاعة[1]، وبهذا الفرق يكون بينهما عموم وخصوص مُطلق، فكلّ وليٍّ ناصر وليس كلّ ناصر وليًّا.

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 578، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/ 144.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»